لغز الشاويش فرقع



محمود سالم

لغز الشاويش فرقع

تأليف
محمود سالم



لغز الشاويش فرقع

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٨ ٢٥٣٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

شيء حدث في المعادي

حدث شيء ما في المعادي ... غير الصورة التي اعتاد عليها المغامرون الخمسة ... كانت المعادي بالنسبة لهم هي الضاحية الجميلة لمدينة القاهرة ... حيث يمتد النيل الرائع، والأشجار والخُضرة والورود والنوادي ... وحيث تقوم الفيلات الرشيقة هنا وهناك ... وحيث يوجد الشاويش «علي» الذي أطلق عليه المغامرون لقب «فرقع»؛ لأنه اعتاد كلما رآهم أن يصيح في وجوههم: هيا فرقعوا من هنا!

لقد بقي النيل والشجر والفيلات، ولكن اختفى الشاويش ... ذهبت «نوسة» ذات يوم إلى القسم مع صديقة لها للإبلاغ عن سرقة دراجة هذه الصديقة، فوجدت شاويشًا آخر ... رجلًا لا تعرفه ولا يعرفها ... وبعد أن تلقى الشاويش البلاغ سألته «نوسة»: من فضلك، أين الشاويش «علي»؟

رد الرجل: لا أدري بالضبط، ولكني سمعت أنه قد اتُّهم في قضية، ثم أحيل إلى المعاش ورحل إلى بلدته!

ارتاعت «نوسة» عند سماع هذا الخبر المؤلم وقالت: الشاويش «علي» متهم؟

رد الرجل: نعم ... هذا ما سمعته ... ولست متأكدًا؛ لأنني نُقلت إلى هذا القسم بعد إحالته للمعاش ... ولم أقابله لأعرف الحقيقة منه!

نوسة: وما هي بَلْدتُه من فضلك؟

الشاويش: لا أعرف، إنه من الصعيد. أظن من محافظة «أسيوط» ... وهذه كل معلوماتي عنه.

خرجت «نوسة» مع صديقتها، وقد تغيرت صورة المعادي التي تعرفها. وأحست أن شيئًا كبيرًا قد نقص ... وهو الشاويش «علي» الذي عرفوه طويلًا، واشتركوا معه برغم أنفه في عشرات المغامرات والألغاز.

وأسرعت «نوسة» إلى حديقة فيلا «عاطف» و«لوزة» حيث اعتادوا اللقاء ... وأبلغت بقية المغامرين بالخبر الحزين ... وقد كان له وقع الصاعقة على المغامرين جميعًا، حتى إن «لوزة» دمعت عيناها ... وارتسم الأسى على وجه المغامر السمين «تختخ»، وقال: إذن وداعًا للمغامرات والألغاز ... وداعًا للمخاطر والأحداث ... وداعًا للمآزق والفِخاخ.

قال «عاطف» الذي ظل متماسكًا: ينقص أن تقيموا مأتمًا على حادث غياب الشاويش ... بدلًا من أن تبحثوا عنه!

ردت «لوزة» بعصبية: هل هذا وقت العبث السخيف؟

عاطف: وهل البحث عن الشاويش يعتبر عبثًا؟ ... إنني أفضل بدلًا من الجلوس هكذا أن نبحث عنه!

لوزة: وأين نبحث؟ هل ننشر إعلانات في الجرائد عن شاويش مفقود؟

ضحك «عاطف» وقال: ها أنتِ تقولين نكتة ظريفة!

تحدث «محب» لأول مرة، فقال: هناك طريقان للبحث عن الشاويش «علي»، الأول: أن نتصل بالمفتش «سامي».

قاطعه «تختخ» قائلًا: أنت تعرف أن المفتش «سامي» في مهمة خارج مصر.

محب: أعرف!

تختخ: إذن ما هي الطريقة الثانية؟

محب: هل تذكرون «جلال»؟

قفز إلى أذهان المغامرين جميعًا صورة ولد نحيف، اشترك معهم في بعض المغامرات وصاحوا: نعم ... ابن أخت الشاويش!

محب: لماذا لا نرسل له رسالة نسأله فيها عن سر اختفاء الشاويش ... أليس الشاويش خاله؟ ... من المؤكد أنه يعرف أين هو!

لوزة: هائل يا «محب» ... هذا هو الكلام المفيد.

عاطف: المهم ... أين نعثر على هذا العنوان؟

تختخ: بالطبع عند «نوسة» ... أليست هي «أرشيف» المغامرين؟

لوزة: طبعًا ... إنها مثل قسم «الأرشيف» في المصالح الحكومية!

ثم سرحت «لوزة» لحظات، وقالت: ولكني أسمع كلمة «أرشيف»، ولا أفهم معناها ... ما هو «الأرشيف» يا «تختخ»؟

ابتسم «تختخ» وقال: إنه القسم الذي تحتفظ فيه الشركات والمصالح بالأوراق الهامة ... ويسمونه قسم «الأرشيف» أو المحفوظات.

عاطف: المحفوظات والأناشيد؟

لم يضحك أحد على هذا التعليق، وقالت «نوسة»: أعتقد أنه عندي ... سأذهب على الفور إلى المنزل وأعود به!

وانطلقت «نوسة» على دراجتها، وجلس بقية المغامرين يتحدثون. قال محب: إنني منذ بضعة أيام لم أرَ الشاويش يحوم حولنا، ولا رأيت دراجته القديمة، وهو يمر بها في شوارع المعادي كعادته ... لاحظت ذلك، ولكني لم أتصور أبدًا أن يكون الشاويش قد غادر المعادي إلى الأبد!

تختخ: لقد لاحظت ذلك أيضًا ... وظننت أنه في إجازة، أو مشغول في حل مشكلة، أو لغز من الألغاز!

لوزة: المهم ... إذا عرفنا مكان الشاويش، فماذا سنفعل؟

تختخ: سنحاول أن نعرف منه لماذا أحيل إلى المعاش.

لوزة: إنك تعرفه ... فهو لا يحب أن يُدلي إلينا بأية معلومات ... وأشك كثيرًا أنه سيتحدث عن هذه المسألة الشخصية.

هز «محب» رأسه قائلًا: لقد ذهبنا بعيدًا ... لماذا لا نذهب إلى منزل الشاويش ونسأل عنه؟ ... لعله معتكف في منزله!

تختخ: معك حق ... كيف لم يخطر لنا ذلك؟!

عاطف: لقد فهمت من كلام «نوسة» الذي سمعته عن الشاويش الجديد، أنه بعد أن أُحيل للمعاش قد ترك المعادي، وعاد إلى بلدته!

تختخ: هذا غير مؤكد ... فمن الممكن أن يكون معتكفًا في منزله؟

لوزة: لن نخسر شيئًا ... إذا ما عادت «نوسة» نذهب في رحلة قصيرة إلى منزله ... ومن الممكن أن نسأل الجيران عنه ... فقد يُدْلون إلينا بمعلومات عن موعد غيابه عن البيت إن كان قد سافر.

ظهرت «نوسة» عند باب الحديقة، وهي تحمل في يدها ورقة عرف الجميع أن بها عنوان «جلال» ابن أخت الشاويش.

قالت «نوسة»: العنوان!

تختخ: أين يسكن «جلال»؟

نوسة: إنه يسكن في قرية «برج البرلس»، مركز «بلطيم»، بمحافظة كفر الشيخ.

تختخ: لقد كان «عاطف» أقرب المغامرين إليه ... لهذا أقترح أن يقوم «عاطف» بالكتابة إليه ... لسؤاله عن مكان الشاويش، وقصة إحالته للمعاش!

لوزة: بالطبع دون أن يملأ الرسالة بـ «النكت»؛ حتى لا يظن «جلال» أننا نقوم بالتنكيت على خاله!

عاطف: إنك تسيئين بي الظن كثيرًا يا «لوزة» ... فأنا لا أخلط بين الهزل والجد!

لوزة: كنت أنبِّه فقط!

عاطف: سأكتب الرسالة ثم تقرءونها!

تختخ: لا داعي لهذه العصبية يا «عاطف» لمجرد ملاحظة بسيطة من «لوزة».

محب: هيا بنا نذهب إلى منزل الشاويش!

وقفز الجميع إلى دراجاتهم، بينما بقي «عاطف» أمام بعض الأوراق البيضاء، يكتب الرسالة إلى «جلال».

كان مسكن الشاويش في طرف المعادي بعيدًا عن النيل، في منزل متواضع من الحجر الأحمر ... وكان المغامرون قد زاروه مرة أيام كان «جلال» معه، وذهبوا إليه لمقابلة الشاويش ... ولم تكن مشكلة أن يعثروا على المنزل ... ولاحظوا على الفور أنه مغلق الأبواب والنوافذ ... وكان من الواضح أن الشاويش ليس موجودًا؛ لهذا اتجهوا إلى المنزل المجاور ... وكانت هناك سيدة تبدو عليها الطيبة، تقوم بنشر غسيلها في شرفة بالدور الأول ... وحياها «تختخ» ثم قال: لقد جئنا نسأل عن جاركم!

السيدة: الشاويش «علي»؟

تختخ: نعم.

بدا على وجه السيدة الحزن وهي تقول: كان نِعم الجار ... ولا أدري ماذا حدث له!

تختخ: ألم يعُد يسكن هنا؟

السيدة: بلى ... ما زال يسكن هنا ... فهو لم يأخذ أثاثه من المنزل، ولكنه متغيب منذ فترة طويلة.

وبدا على السيدة أنها تكتم شيئًا، فقال «تختخ»: إننا أصدقاء له، نبحث عنه لمسألة تَهُمُّه، وتتعلق بغيابه!

بللت السيدة شفتيها بلسانها، ثم قالت: الحقيقة يا بني أنني لاحظت أن منزل الشاويش يُضاء أحيانًا ليلًا!

بدا الاهتمام على وجه «تختخ» وهو يقول لها: متى رأيتِ هذا النور آخر مرة؟

السيدة: منذ خمسة أيام ... بالضبط يوم السبت الماضي ... قمت لأفتح الباب لزوجي ليلًا، فرأيت النور مضاء في منزله ... وقد أخبرت زوجي بذلك، وفكر أن يذهب لزيارته ... ولكن الوقت كان متأخرًا ... وفي اليوم التالي ذهب ودق الباب، ولكن لم يفتح أحد.

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: هل هناك «تليفون» قريب هنا؟

ردت السيدة: لا ... إن التليفون الوحيد عند «عثمان» البقال في آخر الشارع المجاور.

قال «تختخ»: شكرًا لك!

السيدة: هل تعرف ماذا حدث للشاويش؟

تختخ: لا ... ولكنَّا سنعرف!

والتفت «تختخ» إلى المغامرين، ونظر نظرة فهموا معناها جميعًا ... ما دام الشاويش يتردد على منزله ليلًا ... فلا بد من مراقبة المنزل في الليالي التالية.

الشاويش يتحدث على الورق

مرت ثلاثة أيام والمغامرون الخمسة يقومون بالرقابة الليلية على منزل الشاويش «علي» ... دون أن يروا بصيصًا من النور ... وفي صباح اليوم الرابع وصل رد «جلال»، واجتمع المغامرون في حديقة منزل «عاطف» لقراءة الرسالة، بعد أن اتصل بهم «عاطف» تليفونيًّا.

جلس المغامرون في الكشك الصيفي في شكل نصف دائرة ... وبدأ «عاطف» يقرأ رسالته التي كانت تتكون من عدة ورقات. وقد أرهفوا آذانهم للسمع.

قال «جلال» في رسالته:

«أعزائي المغامرون الخمسة:

وصلتني رسالتكم وكانت مفاجأة لي ... وإني أشكركم كثيرًا لاهتمامكم بأمر خالي العزيز الشاويش «علي»، وقد تأكدت عندما وصلتني رسالتكم أنكم تحبونه حقًّا ... ولولا حبكم له لما كان هذا الاهتمام الكبير به، وأعتقد أنه سيُسَر كثيرًا لسؤالكم عنه.

إن اختفاء خالي الشاويش «علي» من المعادي له قصة طويلة ... فقد حضر منذ ثلاثة أسابيع إلى القرية، وأثارت عودته الأقاويل والأحاديث، ولكنه قال إنه في إجازة طويلة مدتها شهر، وإنه جاء لقضائها بين أهله وأقاربه. وقد صدَّق الناس هذا التفسير ... شخص واحد عرف أن هذا التفسير ليس صحيحًا، وأنه تغطية لشيء حدث ... هذا الشخص هو أنا.

لقد لاحظت منذ حضور خالي أنه عصبي جدًّا ... وأنه يحب أن يخلو إلى نفسه طويلًا، ولم يكن يرى الناس الذين قال إنه جاء ليقضي إجازته بينهم ... كان ينفرد بنفسه في الحقول ... بل إنني لاحظت أنه يحدِّث نفسه كأنه أصيب بمس من الجنون. أكثر من هذا أنني سمعته يحلم، وهو نائم، بصوت مرتفع ... كان يدافع عن نفسه، كأنه أمام محكمة ويقول: أنا مظلوم.

وقد حاولت مرارًا أن أعرف منه السبب الحقيقي لحضوره إلى القرية، ولكنه رفض بإصرار أن يقول لي أي شيء، حتى كان ذات يوم، وكنت قد سرت خلفه، حتى جلس تحت شجرة الجميز العجوز التي ترتفع عالية خارج القرية ... وفي هذا المكان الذي قضى فيه خالي أيام طفولته، كما حكت لي أمي، كان خالي يبدو هادئًا، وأفضل حالًا ... وكأنه كان يجد الاطمئنان وراحة النفس في المكان الذي شهد ذكريات طفولته.

المهم، جلست بجواره فلم يحدثني ... وبعد نحو نصف ساعة، قال لي بصوت هادئ: تريد أن تعرف لماذا جئت هنا؟

قلت له: طبعًا يا خالي ... إنني ألاحظ أنك مشغول البال جدًّا ... وأظن أن القول بأنك جئت في إجازة ليس الحقيقة!

صمت لحظات ثم قال لي: نعم ... إنه ليس الحقيقة ... والحقيقة أني موقوفٌ عن العمل ... وسوف أواجه محاكمةً عسكرية، ستطردني من الخدمة حتمًا.

لم أعلق، فمضى يقول: إني مظلومٌ يا «جلال» ... لقد أديتُ واجبي، ولكن الظروف التي مررت بها كانت فظيعة.

وصمت خالي فترة، ثم قال: لقد استغفَلني أحدُ المجرمين وهرَب مني. نعم! ضحك على الشاويش «علي» وفرَّ منه!

وعاد خالي إلى الصمت لحظات، ثم مضى يقول: والقصة بدأت عندما ذهبت إلى محكمة «باب الخلق» لأخذ أحد المجرمين الخطرين، ويدعى «سيد دبانة»؛ لنقله إلى محكمة «حلوان» لمحاكمته على إحدى جرائمه التي وقعت في دائرة «حلوان»، وقد تم تسليم المجرم لي، حيث قمت بتركيب القيد الحديدي (الكلبش) في يده اليمنى ويدي اليسرى؛ حتى لا يهرب مني، ووضعت مفتاح القيد في جيبي، وكانت الساعة الثانية بعد الظهر. وانتظرت سيارة السجن لتحضر لأخذنا، ومضى وقت طويل قبل أن تصل السيارة، وقال لي السائق: إن السيارة أُصيبت بعطل في الطريق؛ لهذا تأخر. وركبت مع «دبانة» الذي اشتهر بهذا الاسم؛ لأنه قادر على الهرب أو الطيران من الفخاخ التي نُصبت له ... كما أنه يشم رائحة رجال الشرطة، فيهرب دائمًا قبل أن يصلوا إليه ... وقد وضعت هذا في اعتباري فكنت شديد الحذر، فقد ربطته بالكلبش كما قلت لك، وفي الوقت نفسه كان معي مسدسي الرسمي ... وركبت السيارة حوالي الساعة الخامسة ... وقد بدأ الظلام يهبط، والجو بارد، وهناك إنذار بالمطر.»

ومضى «عاطف» يقرأ رسالة «جلال» والذي استمر يقول: «وسكت خالي لحظات، ثم مضى يقول: تحركت السيارة وأنا أجلس بجوار «دبانة» الذي جلس ساكنًا حتى ظننت أنه

نائم، وسارت السيارة حتى تجاوزنا مصر القديمة ... وانطلقنا على كورنيش النيل، وكلما مضى الوقت أحسست بالاطمئنان؛ لأنني سوف أسلم «دبانة»، وأنتهي من مشكلته ... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.

وسكت خالي فترة طويلة كأنه يتذكر الأحداث التي مر بها، ثم قال: سمعت صوتًا غير عادي يصدر من محرك السيارة، ثم اتجه بها السائق إلى جانب الكورنيش وأوقفها وهو يزمجر: لقد توقفت مرة أخرى!

ونزل السائق، وكان المطر قد أخذ يهطل بشدة ... ورفع السائق غطاء المحرك وأخذ يحاول إصلاح العطل ... ولكن يبدو أن العطب كان هذه المرة شديدًا؛ فقد عاد الرجل إلى كابينة القيادة وهو يلعن ويسخط، وأخذ بعض الأدوات وعاد لمحاولة إصلاح المحرك.

كان المطر قد تحول إلى سيل ... ولم يعُد هناك شخص واحد يسير في هذا الظلام والبرد القارس والمطر الشديد ...

ومضى الوقت وأحسست بأعصابي تتوتر ... وجاء السائق وطلب مني مساعدته في الإمساك ببعض الأدوات، فنزلت وأنا أجر المجرم الخطير «دبانة» معي ... ولكنه أعاق حركتي فلم أستطع مساعدة السائق، فأخرجت مفتاح القيد الحديدي وفتحته، ثم ربطت «دبانة» في مقبض باب السيارة، وأخذت في مساعدة السائق، ولكن كل ذلك كان عبثًا، فلم تتحرك السيارة من مكانها، واشتد الظلام والمطر ... وتوقفت سيارة بجوارنا لحظات، وحاولت أن أشير إليها ولكنها انطلقت.»

كان المغامرون الخمسة يستمعون إلى الرسالة مبهورين ... لقد كانت مغامرة الشاويش مع المجرم الخطير «دبانة» مثيرة، خاصة في الظلام والبرد ... وأسلوب «جلال» في السرد.

ومضى «عاطف» يكمل الرسالة كما كتبها «جلال» على لسان خاله:

«ووقفت بجوار «دبانة» وقد أحسست بالتعب الشديد ... ومضت نحو ساعة ثم توقفت سيارة بجوارنا، وكان واضحًا أن سوء موقفنا لفت أنظارهم ... وجاء السائق يسأل عما إذا كان في إمكانه أن يساعدنا، فأشرنا إلى محرك السيارة، ووقف مع سائقنا يتحدثان قليلًا، ثم أعلن السائق أن لا فائدة من إصلاح السيارة، وخطر ببالي في هذه اللحظة شيء، سألت السائق عن سيارته فقال: إنها سيارة شخص يُدعى الأستاذ «شوقي السيد» ... وأنه يركب معه هو وشخص آخر، فطلبت منه أن يذهب إلى الأستاذ «شوقي»، الذي كان يجلس في المقعد الخلفي، ويطلب منه أن يأخذنا أنا و«دبانة» ... معه إلى قسم «المعادي» ...

فذهب وعاد بالموافقة، وفككت قيد «دبانة»، وذهبنا إلى السيارة بعد أن ربطت يدي في القيد، وركبت بجوار الأستاذ «شوقي»، وشكرته على معونته.

ومضت السيارة، ولكن بعد دقيقة واحدة أخذ الراكب الذي يجلس بجوار السائق في الحديث إلى الأستاذ «شوقي» الذي كان يجلس بجواري ... كان يكلمه بلهجة غاضبة، ويرد عليه «شوقي» بغضب أشد ... وتطورت المشاجرة، وإذا بالراكب الذي يجلس بجوار السائق، يخرج مسدسًا ويطلق الرصاص على الأستاذ «شوقي»، ويطلب من السائق التوقف تحت تهديد المسدس ... وقبل أن أمد يدي لإخراج مسدسي كانت السيارة قد توقفت، وقفز منها الرجل واختفى.»

تحدثت «نوسة» لأول مرة منذ أن بدأ «عاطف» يقرأ الرسالة، وقالت: كان من الصعب على الشاويش أن يتصرف، وإحدى يديه مقيدة!

محب: لا داعي للتعليق الآن ... إن الرسالة كلها تحتاج إلى فحص، استمر يا «عاطف».

ومضى «عاطف» يقرأ: «وطلبت من السائق التوجه على الفور إلى مستشفى الدكتور «إسماعيل» على كورنيش النيل، وأسرع السائق يدير سيارته وينطلق ... وبإرشادي وصلنا إلى باب العمارة التي بها المستشفى، وطلبت من السائق أن يصعد إلى المستشفى، ويعود بأحد يساعده في نقل المصاب الذي كان يتأوه بشدة ... وخرج السائق من باب السيارة، وظللت أحاول تهدئة المصاب ... ومضت عشر دقائق دون أن يعود السائق، ثم ربع ساعة، ووجدت الرجل يصل إلى مرحلة الاحتضار ... ولا بد من نجدة سريعة.

فنزلت وربطت «دبانة» إلى باب السيارة مرة أخرى، ثم صعدت سريعًا سلالم المستشفى وأنا أنادي أطلب النجدة، وعندما وصلت إلى قاعة الاستقبال، وجدت إحدى الممرضات تجلس فطلبت منها المساعدة في نقل مصاب ... واستدعت اثنين من الممرضين ومعهما نقالة، ونزلنا السلالم مسرعين إلى الشارع وكانت المفاجأة ...»

وسكت «عاطف» ونظر إلى المغامرين الذين كانوا في أشد حالات الانتباه إلى حكاية الشاويش «علي» وقال «محب»: استمر يا «عاطف»، ولا داعي للتوقف!

مضى «عاطف» يقرأ: «كانت المفاجأة أنني لم أجد السيارة ولا «دبانة» طبعًا ولا المصاب ... وأخذت أنظر هنا وهناك، وأجري هنا وهناك، ولكن السيارة ومن فيها كانت قد اختفت في الظلام والمطر ... ونظر إليَّ الممرضان في استنكار شديد، وكأنني كنت أضحك عليهما، ثم صعدا المستشفى وهما في غاية الضيق.

وأخذت أجري في الشوارع كالمجنون، حتى وصلت إلى القسم وقمت بالاتصال بإدارة البحث الجنائي، وأبلغتهم بما حدث ... وسرعان ما جاءت سيارة وبها بعض رجال الإدارة

... ولكن لم يكن هناك أي شيء يمكن عمله ... فقد أخفت الأمطار آثار السيارة ... واختفت بمن فيها إلى الأبد ... وهكذا قُدمت إلى مجلس عسكري، وصدر أمر بإيقافي عن العمل لحين استكمال التحقيق.»

سكت «عاطف» ثم قال: هكذا ينتهي حديث الشاويش «علي» إلى ابن شقيقته «جلال» ...

أما «جلال» فيكمل الرسالة قائلًا: «إنني أتمنى أن تساعدوا خالي ... فمن المؤكد أن الظروف كانت أقوى منه ... وأنه رجل لم يقصر في واجبه. وتحياتي لكم وإلى اللقاء.»

جلال

العودة إلى أيام زمان

ساد صمت طويل بعد أن انتهى «عاطف» من قراءة رسالة «جلال» التي تحدث فيها عن لقائه مع خاله الشاويش «علي»، وحديث الشاويش «علي» عن سبب وقفه عن العمل.

كان في ذهن كل واحد من المغامرين الخمسة كثير من علامات الاستفهام ... وكل منهم يريد أن يلقي بمجموعة أسئلة عما حدث للشاويش ... ولكن ... كالعادة ... كان المتحدث الأول هو «تختخ»، وكالعادة أيضًا بدأ حديثه بقوله: نريد تلخيص كل ما جرى في هذه الأحداث من تفاصيل.

قالت «نوسة»: إنك أفضل من يقوم بهذه المهمة.

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: المعلومات التي احتوتها الرسالة يمكن تلخيصها كالآتي:

أولًا: الشاويش «علي» يتسلم مجرمًا مشهورًا بقدرته على الإفلات والهرب، اسمه «دبانة» من إدارة البحث الجنائي؛ لتوصيله إلى نيابة «حلوان».

ثانيًا: الوسيلة المستخدمة في النقل سيارة حكومية ... وقد تعطلت السيارة في الوصول إلى الشاويش حتى اقترب هبوط الظلام في الخامسة مساءً، فنحن في شهر فبراير.

ثالثًا: السيارة تتحرك، وتصل إلى كورنيش النيل بعد «مصر القديمة»، ثم تتعطل مرة أخرى ويصعب إصلاحها.

رابعًا: تأتي سيارة عليها من يُدعى «شوقي السيد»، وتتوقف بجوار السيارة المعطلة للمعاونة في إصلاحها، ولكن العطل كبير.

خامسًا: يطلب الشاويش من السائق أن يرجو صاحب السيارة في نقله هو و«دبانة» إلى قسم شرطة «المعادي»، ويوافق صاحب السيارة.

سادسًا: في أثناء سير السيارة يتشاجر صاحبها مع راكب يجلس بجوار السائق، فيقوم الراكب بإطلاق الرصاص من مسدسه على صاحب السيارة، ويصيبه إصابات مميتة.

سابعًا: تحت تهديد المسدس يوقف السائق السيارة، ويهرب الراكب.

ثامنًا: يطلب الشاويش من السائق التوجه إلى مستشفى الدكتور «إسماعيل» على كورنيش النيل، وعندما يصلون إلى هناك يطلب الشاويش من السائق النزول وطلب النجدة من المستشفى.

تاسعًا: يتأخر السائق طويلًا، فيربط الشاويش المجرم «دبانة» في باب السيارة وينزل لطلب النجدة من المستشفى.

عاشرًا: يعود الشاويش ومعه النجدة المطلوبة، ولكنه لا يجد السيارة، ولا يجد أي أثر لها على الأسفلت، فقد محته مياه الأمطار.

وسكت «تختخ» لحظات ثم قال: هذه النقاط العشر تشمل الوقائع التي جرت منذ حوالي ثلاثة أسابيع للشاويش «علي»، ومن الواضح أن رجال الشرطة لم يعثروا على أثر للسيارة ولا لـ «دبانة» ... فماذا يمكننا نحن أن نفعل لمساعدة الشاويش؟

ردَّ «عاطف» على الفور: في الحقيقة أننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا على الإطلاق، فإذا كان رجال الشرطة غير قادرين على العثور على السيارة ولا على «دبانة»؛ فماذا يمكننا نحن أن نفعل؟

محب: إذا أخذنا بهذا الأسلوب الذي يفكر فيه «عاطف»؛ فلن يكون عندنا في أي يوم لغز للحل، ولا مغامرة ... والصحيح أننا نحتاج إلى معلومات أكثر لنبدأ العمل.

تختخ: إنني أوافق «عاطف» على صعوبة البداية، وأوافق «محب» على أننا نحتاج إلى معلومات أكثر!

لوزة: إن هناك أسئلة يجب الرد عليها.

تختخ: بالضبط ... هناك أسئلة لا يجيب عليها إلا أحد أبطال حادث السيارة ... السائق ... أو الأستاذ «شوقي السيد»، أو الرجل الذي أطلق الرصاص أو الشاويش ...

نوسة: والشاويش هو الشخص الوحيد الموجود من هؤلاء!

تختخ: إنه موجود وغير موجود!

لوزة: خطر لي شيء الآن ... هل عثر رجال الشرطة على أي واحد من أبطال الحادث؟

تختخ: لا نعرف!

لوزة: إننا في حاجة إلى معاونة الشرطة!

تختخ: الرجل الوحيد الذي يمكن أن نسأله غير موجود ... المفتش «سامي»!

لوزة: في آخر مغامرة لنا، التقيت أنت بالرائد «سيد هندي» في قسم حلوان، لماذا لا نذهب لسؤاله؟

تختخ: إن الحادث لم يقع في دائرة عمله!

لوزة: ولكن «دبانة» كان منقولًا إلى هناك، فلا بد أن الرائد «هندي» عنده بعض المعلومات!

تختخ: معك حق ... سأذهب لمقابلته حالًا.

عاطف: الساعة الآن الواحدة بعد الظهر ... والرحلة طويلة إلى حلوان والظلام يهبط مبكرًا ... من الأفضل الانتظار إلى الغد ... ونذهب مبكرين، وفي الوقت نفسه علينا مراقبة منزل الشاويش «علي» هذه الليلة ... من يدري؟ ربما يأتي!

نوسة: إن الدور الليلة عليك يا «تختخ».

تختخ: سأقوم بالمراقبة من السادسة مساءً.

محب: إذن نفُض هذا الاجتماع على أن نلتقي جميعًا غدًا في التاسعة صباحًا.

ووافق بقية المغامرين وتفرقوا ... انصرف «محب» و«نوسة» ... معًا، وانصرف «تختخ» وحده، فلم يكن «زنجر» قد حضر معه هذا الاجتماع.

عندما هبط المساء على المعادي كان «تختخ» يستعد للخروج ... بقي دقائق في فراشه يفكر وهو يضع كفيه خلف رأسه ... كانت عشرات الأسئلة تدور في ذهنه حول حادثِ السيارة وهرَبِ «دبانة»، وكان يعيد النقاط التي لخص بها خطاب «جلال»، ويحس أن هناك حلقة مفقودة في القصة ... يمكن أن تكشف الستار عن حقيقة هذا الحادث ... هل وقع مصادفة ... أم بتدبير محكم؟

وتصور «تختخ» في جلسته هذه أنه لو وجد الشاويش «علي»؛ هل يمكن أن يدلي له الشاويش بمعلومات أخرى تفيده في البحث عن «دبانة» ... إن الشاويش الذي يرى في المغامرين الخمسة مجرد أولاد يعطلون عمله لا يمكن أن يحدثه بصراحة أو يطلب منه المساعدة ... وفجأة قفزت إلى ذهنه فكرة جعلته يقفز من فراشه، ثم يفتح الباب الصغير المختفي خلف ستارة زرقاء في غرفته، ثم يقفز إلى غرفة التنكر ... الغرفة التي تحوي جميع ملابس وأدوات التنكر التي يحتاج إليها المغامر ... والتي لم يدخلها «تختخ» منذ زمن بعيد.

فكر «تختخ» في الشخصية التي سيتقمصها … واستقر رأيه على ملابس مراكبي ممن ينتشرون على شاطئ النيل، وبعد ساعة من العمل الشاق تحول الصبي السمين إلى «صياد» في منتصف العمر، يضع على رأسه الطاقية والشال … مع قميص ممزق عليه الصِّدار الذي يستخدمه الصيادون … ثم سروال قديم قد حال لونه … وببعض الأصباغ على أسنانه أصبحت مكسرة … وببعض الغُضون على وجهه تحول «تختخ» إلى صياد لوَّحت بشرته الشمس … وانتظر لحظات، حتى تأكد أن كل من في الفيلا في أماكنهم بجوار المدفأة؛ اتقاء للبرد القارس، وانسل بهدوء خارجًا إلى الشارع الذي تعصف فيه الريح.

تحرك «زنجر» محاولًا اللحاق بصاحبه … ولكن «تختخ» أمرَه بالبقاء، ثم انسلَّ على دراجته خارجًا دون أن يراه أحد … وبعد لحظات، كان يقطع الشوارع التي تمسحها الريح الباردة … كان قلبه يحدثه أنه مقبل على مغامرة … وأحس بدماء المخاطرة تتدفق في عروقه … وبعد دقائق كان قد وصل إلى الشارع الذي يسكن فيه الشاويش «علي»، وبسرعة اختار المكان الذي سيقبع فيه … لقد واتته الظروف ووجد أفضل مكان ممكن … منزل خرب قد تهدم جزء كبير منه … وواضح أن صاحبه سيتم هدمه … ودخل من باب مكسور إلى الغرف الخالية التي تساقط بعض جدرانها … كان المنزل الخرب يقع في مواجهة منزل الشاويش «علي» تقريبًا … بزاوية تمكنه من رؤية منزل الشاويش بوضوح … وكان الشاويش يسكن في الطابق الأرضي … والنوافذ مغلقة … ومظلمة.

وأخذ «تختخ» يبحث عن أفضل مكان يجلس فيه، حتى وجد كرسيًّا قديمًا مكسورًا، أخذ يضع تحته الأحجار حتى جعله في مستوى النافذة … ثم جلس عليه، وكان قد أعد نفسه لبضع ساعات من الصمت والمراقبة.

وقد وضع برنامجه على أساس أن يفكر في وقائع الحادث … وأخذ يستعين بما رواه «جلال» في رسالته نقلًا عن الشاويش «علي». وأخذت الوقائع تمر في ذهن المغامر السمين، كأنها شريط سينمائي يُعرض أمامه … الشاويش والسجين الداهية والسيارة الحكومية التي تعطلت … وسيارة الأستاذ «شوقي السيد». وتوقف لحظات عند هذه النقطة … إنه يتذكر في الرسالة أنه جاء ذكر لثلاث سيارات، وليس لسيارتين فقط فأين السيارة الثالثة؟

عاد يفكر من جديد في الرسالة، والوقائع التي ذُكرت به، وفجأة قفزت إلى ذهنه السيارة الثالثة … لقد قال الشاويش إنه عندما تعطلت السيارة الحكومية وبعد مرور فترة قصيرة توقفت سيارة خلفهم … وقبل أن يتحدثوا إلى من فيها سارت مسرعة. فهل كانت مجرد مصادفة أن تقف هذه السيارة … ثم تعاود سيرها؟ أم أن وقوفها كان متعمدًا، وأنه أسهم في دفع عجلة الأحداث بعد ذلك؟

أخذت هذه الفكرة تدور برأسه دون أن يقطع برأي ... ثم قفز إلى ذهنه سؤال آخر ... هل قام رجال الشرطة بالبحث عن الأستاذ «شوقي السيد» المصاب بطلقات الرصاص؟ إن أي طبيب إذا ما عالج شخصًا مصابًا بالرصاص، لا بد أن يبلغ عنه الشرطة ... فهل تم إبلاغ الشرطة بذلك؟ ولماذا لم يستجوبوا المصاب؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة ستكشف الستار عن حقيقة الأحداث التي جرت في تلك الليلة البعيدة ... ولكن كيف الوصول إلى هذه الأجوبة؟ فجأة و«تختخ» في حالة التأمل العميق، وعيناه تنظران خلال ستار المطر الذي بدأ يهطل؛ شاهد سيارة تقف أمام منزل الشاويش ... وفي اللحظات التالية كان مسرح الأحداث قد تهيأ ... فقد نزل رجل من السيارة، وبسرعة دخل منزل الشاويش وأضاء النور.

الرجل الذي جاء للمساعدة

حدث كل شيء بسرعة ... وعبر ستار المطر والظلام لم يكن في إمكان «تختخ» أن يرى ويتأكد من الذي نزل ... هل كان الشاويش «علي» أو شخصًا آخر؟

سواء أكان هذا أم ذاك ... فقد كان على «تختخ» أن يتخذ قرارًا ... ماذا يفعل؟ ... ومضى بعض الوقت وهو يدير السؤال في رأسه ... واشتد هطول المطر واشتدت قتامة الظلام ... ولم يعد في الشارع الصغير إلا الأضواء الصغيرة التي تلمع من النوافذ المغلقة.

ماذا يفعل؟ وأخيرًا استقر على رأي ... إذا كان هذا هو الشاويش «علي» فلا بد أن يتحدث معه ... إنها فرصة لا تتكرر ... وربما لا يعود الشاويش إلى منزله مرة أخرى إلا بعد وقت طويل ... وإذا كان شخصًا آخر غير الشاويش؛ فلا بد أن يعرف من هو ... فمن المؤكد أن له علاقة بالأحداث الجارية ... وهكذا وقف «تختخ» ثم عاد يسير بين دهاليز البيت المهدم، حتى وصل إلى الباب المكسور، وتوقف قليلًا ثم اجتاز الشارع الممطر جريًا، ووقف أمام باب الشاويش ودق الجرس.

مضت فترة طويلة قبل أن يسمع «تختخ» صوت أقدام تقترب من الباب، ثم فتح الباب وظهر رجل ... كان الشاويش «علي»، ولكنه كان قد فقد كثيرًا من وزنه ومن قوَّته، وكأن الأسابيع القليلة التي قضاها بعيدًا عن منصبه ووظيفته قد حولته إلى عجوز متهالك.

قال الشاويش بضيق: من أنت؟ ماذا تريد؟

رد «تختخ» بصوت خشن: إنني صديق!

الشاويش: إنني لم أرَك من قبل!

تختخ: هذا صحيح ... ولكني رأيتك كثيرًا يا شاويش «علي».

الشاويش: وماذا تريد؟

كان ذهن «تختخ» يعمل بسرعة البرق، ماذا يقول؟ ... واستقر على رأي.

ورد قائلًا: لقد شاهدت ما حدث على الكورنيش!

الشاويش: أي كورنيش؟

تختخ: ألا تسمح لي بالدخول لأتقي هذا البرد والمطر؟

تردد الشاويش لحظات ثم قال: ادخل!

اجتاز «تختخ» عتبة باب الشاويش، وهو يدير في رأسه ما سيقوله ... وعندما استقر بهما المكان في غرفة الجلوس البسيطة الأثاث ... أخذ الشاويش «علي» يرمق «تختخ» في حدة ... وكأنه يحاول أن يكشف عن شخصيته ... أحس «تختخ» بالقلق؛ فإن الشاويش «علي» يعرفه جيدًا، لهذا تحدث على الفور بصوته المقلد قائلًا: لقد رأيت ما حدث على الكورنيش، عندما كنت تقبض على أحد المجرمين، وعندما ربطته في باب السيارة!

بدا الاهتمام على وجه الشاويش، وقال: أين كنت؟! إنني لم أرَك ساعتها.

تختخ: إني مراكبي كما ترى ... وقد كنت أجلس في مركبي ... وكنت أرى ما يحدث على الشاطئ، وقد شاهدت السيارة الحكومية عندما تعطلت ... وشاهدت السيارة الأخرى عندما ركبت فيها.

الشاويش: ولماذا جئت؟

كان هذا هو السؤال الحاسم الذي يجب أن يرد عليه «تختخ» بكل دقة، فقال: إنني أعرف بالطبع أنك الشاويش «علي» ... وقد سمعت عنك كثيرًا، وأعرف أنك رجل تؤدي واجبك، وقد حللت كثيرًا من الألغاز الغامضة.

بدا الرضا على وجه الشاويش، وأدرك «تختخ» أنه لمس من نفسه وترًا حساسًا، فمضى يضرب على هذه النغمة: لهذا عندما ذهبت إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن سرقة بعض أدوات مركب الصيد، ولم أجدك هناك تضايقت.

الشاويش: وبعد؟

تختخ: وسألت عنك الشاويش الجديد، فعلمت منه أنك تركت الخدمة!

بدا الضيق على الشاويش محل الرضا، فاستمر «تختخ» يتحدث: وأخذت أسأل هنا وهناك، حتى علمت أن المجرم الذي كنت تحرسه في السيارة قد استطاع الفرار.

تنهد الشاويش في ضيق، فمضى «تختخ» يقول: وقد قررت أن أساعدك، وأدلي بشهادتي لمصلحتك إذا لزم الأمر.

قال الشاويش بيأس: وكيف تساعدني؟ لقد قضيت حتى الآن ثلاثة أسابيع أبحث عن هذا المجرم الهارب، ولكني لم أعثر له على أثر، كأنه «فص ملح وداب».

تختخ: واللذان كانا معكما في السيارة الثانية ... ألم تعثر لهما على أثر؟

الشاويش: لا ... وأحدهما مصاب بطلقات مسدس ... وكان يلفظ أنفاسه الأخيرة ... وفي محاولة لإنقاذ حياته هرب اللص.

تظاهر «تختخ» بأنه لا يفهم وقال: كيف حدث هذا؟

أخذ الشاويش يروي القصة ... وركز «تختخ» ذهنه فيما يسمع ... صحيح أنه سمع القصة من قبلُ في رسالة «جلال»، ولكن عندما يروي بطل الحادث القصة يصبح لها أهمية أكثر ... خاصة التفاصيل الصغيرة التي كان «تختخ» يتمنى أن يعرفها.

وأخذ «تختخ» يستمع في صبر وانتباه ... وعندما جاء ذكر السيارة التي وقفت أولًا بجوارهم، ثم سارت سأل الشاويش: هل عرفت نوع هذه السيارة؟

ردَّ الشاويش: إنني لست خبيرًا في السيارات ... ولكنها كانت من طراز شائع في بلادنا، إنها سيارة نصر ١٢٨.

هزَّ «تختخ» رأسه آسفًا، ثم قال: من الصعب تتبُّع سيارة من هذا النوع، فهناك ألوف السيارات منها في مصر!

الشاويش: ولكن ما دخل هذه السيارة فيما حدث؟ إننا لم نركب فيها؟

تختخ: سأجيب عن هذا السؤال، عندما تنتهي من سرد القصة.

بدت الريبة على وجه الشاويش ... فهذا المراكبي البسيط يتحدث بلغة رجال الشرطة، وفهم «تختخ» ما يدور في ذهن الشاويش، فقال: لا تندهش إذا وجدتني مهتمًّا إلى هذا الحد، وأسأل بعض الأسئلة الغريبة؛ فإنني قطعت شوطًا لا بأس به في التعليم، وأقرأ كثيرًا خاصة الروايات البوليسية ... وعندي فكرة عن أسلوب التحقيق والاستنتاج!

وبدا بعض الاقتناع على وجه الشاويش، واستمر يسرد القصة ... واستمع «تختخ» بانتباه شديد إلى الجزء الخاص بإطلاق الرصاص على الأستاذ «شوقي السيد» صاحب السيارة التي نقلتهم ... وسأل الشاويش: كم رصاصة أصابت صاحب السيارة؟

فكر الشاويش لحظات، ثم قال: خمس رصاصات!

تختخ: وهل تظن أن أي رجل في العالم يمكن أن تطلق عليه خمس رصاصات على هذه المسافة القصيرة، ثم يبقى حيًّا ولو للحظة واحدة؟

قال الشاويش: مستحيل طبعًا! ... وهذا ما يدهشني! ... خاصة أنه كان يطلب إسعافه، ويرجو أن تذهب به إلى أقرب مستشفًى، وكان وجهه يبدو جامدًا.

تختخ: إنها مسألة تحتاج إلى إعادة نظر على كل حال ... ماذا كان نوع السيارة الثانية ولونها ورقمها؟

الشاويش: سيارة صفراء من طراز «رينو»، وقد عرفت ذلك من سائق السيارة الحكومية عندما سُئل في التحقيق.

قال «تختخ»: إنها سيارة ليست كثيرة العدد كما هو الحال بالنسبة للسيارة نصر ١٢٨، فهل بحث رجال الشرطة عنها؟

الشاويش: نعم ... وقد حفظت الرقم عندما ذهبت لأركب مع «دبانة»، ولكن اتضح أن الرقم لسيارة أخرى ... إنه رقم مسروق وهم يتابعون الآن هذه السيارة.

تختخ: لقد بدأت أفهم بعض الأشياء في هذه القصة.

الشاويش: مثل ماذا؟

تختخ: إنني أعتقد أن هذه السيارة لم تأتِ بالمصادفة، وأن العملية كلها مدبرة!

الشاويش: لا يمكن ... فكيف عرفوا أن السيارة الحكومية تعطلت، وكيف عرفوا مكاننا على الكورنيش؟

تختخ: مسألة بسيطة جدًّا ... السيارة الأولى نصر هي التي نقلت المعلومات إليهم، فدبروا هذه العملية كلها!

الشاويش: ولكن كيف عرفت السيارة الأولى مكاننا؟

تختخ: لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الآن ... ولكن من الممكن أن يكون ذلك بالمصادفة ... سيارة تسير على الكورنيش، فتشاهد رجلًا مربوطًا بسلسلة حديدية، إن هذا المشهد يلفت النظر طبعًا ... وعندما يقتربون يعرفون أنه «دبانة» المجرم الشهير ... ولعل أحدهم كان يعرفه ... وبسرعة تم تدبير المسألة!

الشاويش: ماذا تعني بتدبير المسألة؟

تختخ: إن الحكاية كلها تمثيلية متقنة ... فالأستاذ «شوقي السيد» لم يصَب بالرصاص ... إنه كان رصاصًا فارغًا يسمونه «الفشنك»، وهو رصاص يُحدث صوتًا قويًّا ولكنه لا يؤدي إلى شيء ... رصاص صوت!

صرخ الشاويش: كيف تقول هذا؟ ... إن الأستاذ «شوقي» أصيب أمامي بالرصاص، ونزف دمًا كثيرًا!

تختخ: هل فحصت هذا الدم؟

الشاويش: ولماذا أفحصه؟

تختخ: لأنه ليس دمًا على الإطلاق ... إنه مجرد سائل لزج أحمر اللون يمكن أن يكون حبرًا أو دهنًا ... أو دمًا ... ولكن دم فرخة أو أرنب!

قفز الشاويش واقفًا وهو يصيح: إنك تتهمني بالغباء ... إنني لست غبيًّا ... وأنت لست مراكبيًّا؛ إن حديثك لا يمكن أن يكون لبحَّار ... فمن أنت؟

ذهل «تختخ» وقال: آسف جدًّا ... يبدو أنني تدخلت فيما لا يعنيني ... سأنصرف فورًا.

وتحرك «تختخ» في اتجاه الباب، ولكن الشاويش وقف وهو يصيح: إنك لن تخرج من هنا ... لا بد أن أعرف من أنت!

الرجل ذو الوجه الجامد

كانت لحظات حرجة ... فلو اكتشف الشاويش حقيقة «تختخ»، أو هذا المراكبي الواقف أمامه لقلب الدنيا رأسًا على عقب ... وبرغم أنه لم يعد يمثل رجال الشرطة؛ فإن في إمكانه أن يشكو، ويتعرض «تختخ» لمشاكل كثيرة ليس أقلها لوم والديه.

وفي نفس الوقت لن يستطيع المغامرون الخمسة الاشتراك في حل لغز الشاويش ... أو مساعدته ... كان الحل الوحيد هو الفرار ... ووضع «تختخ» خطة سريعة جدًّا ... كان يقف في طرف الغرفة والشاويش في الطرف الآخر، وبينهما مسافة ثلاثة أمتار تقريبًا، فلو قفز خارجًا قبل أن يتحرك الشاويش؛ فإنه سيصل إلى الباب قبله ... ولكن المشكلة هي فتح الباب سريعًا قبل أن يصل إليه الشاويش ... وكان هناك حل لهذه المشكلة ... وهكذا قفز «تختخ» خارجًا، وبرغم سِمْنته؛ فقد كان سريع الحركة ... ووصل إلى الصالة والشاويش خلفه يصيح ... انتظر هنا أيها اللص ... إنك من أعوان «دبانة»! ...

نفذ «تختخ» خطته الصغيرة ... كان هناك مقعد في الطريق ... أخذه في يده وهو يقفز خارجًا ... وعندما وصل إلى الباب مد إحدى يديه يفتحه ... وقذف الكرسي بيده الأخرى تحت قدمي الشاويش ... وكما توقع «تختخ» بالضبط اصطدم الشاويش المسرع بالكرسي وتكعبل فيه ووقع على الأرض ... وكان «تختخ» قد فتح الباب فخطا خارجًا وأغلقه خلفه ... ودون تردد أسرع إلى المنزل الخرِب في نفس الوقت الذي خرج فيه الشاويش من المنزل شاتمًا لاعنًا ... وشاهد «تختخ» وهو يدخل المنزل فأسرع خلفه ... جرى «تختخ» في دهاليز البيت المعتم ... وكانت جلسته الأولى فيه قد أعطَتْه بعض المعرفة فلم يصطدم بشيءٍ، ولكن الشاويش الذي دخل خلفه أخذ يصطدم بالطوب والأحجار والشبابيك الساقطة، وصوته الشاكي يرتفع في الصمت.

كان المطر ما زال يهطل ... وأخذ الرعد والبرق يتتابعان ... وكان ضوء البرق يضيء المكان بين لحظة وأخرى ... ووقف «تختخ» لاهث الأنفاس ... لقد أصبح من الضروري ألا يمسك به الشاويش الآن ... فلن يتركه إلا في قسم الشرطة ... قرر أن يعود فورًا إلى شخصيته الطبيعية ... وكان يحتفظ بملابسه الأصلية تحت ثياب المراكبي الفضفاضة، وبسرعة خلع الطاقية والسروال الكبير والصدار الممزق، ومسَحَ الأصباغ التي على وجهه، وكان ذلك سهلًا بعد أن سقط عليه المطر ... ثم جمع كل هذه الملابس في ربطة واحدة، وانتظر البرق، ثم اختار مقعدًا قديمًا في ركن بعيد عن المطر ووضع الملابس تحته ... ثم وقف لحظات، وهو يستمع إلى الشاويش، وهو يجوس خلال المنزل المهجور ... وسمعه في لحظة وقد اصطدم بشيء ثم سقط على الأرض ... وأخذ يسب ويلعن ... وانطلق «تختخ» خارجًا، وعندما وصل إلى الباب الخارجي توقف لحظات كانت كافية ليجد الشاويش الذي سمع صوت خطواته يأتي مسرعًا ...

أسرع «تختخ» يجري تجاه دراجته وجرى خلفه الشاويش ... ولسوء حظ «تختخ» انزلقت قدمه، وكاد يسقط على الأرض، وعندما استطاع استعادة توازنه كان الشاويش قد لحق به.

وقف الاثنان تحت المطر ينظر كل منهما إلى الآخر ... وقد بدت الدهشة على وجه الشاويش ... بينما وقف «تختخ» ساكنًا، ثم قرر أن يهاجمه فقال: ماذا تفعل هنا يا شاويش «علي»؟

وكما توقع «تختخ» انفجر الشاويش صائحًا: أنت تسألني ماذا أفعل هنا؟! إنني الذي أسألك ماذا تفعل هنا؟

تختخ: كما ترى يا شاويش ... إنني أتمشى!

الشاويش: تتمشى في الظلام والبرد والمطر؟

تختخ: هل هناك قانون يمنع المشي في الظلام والبرد والمطر؟

الشاويش: لا تحدثني بهذه اللهجة ... فأنت لم تأتِ إلى هنا لتتمشى!

تختخ: إذن ماذا أفعل هنا؟

الشاويش: لا أدري ... ولكن؟

وتردد الشاويش لحظات، فقال «تختخ»: ولكن ماذا يا شاويش؟

الشاويش: ألم ترَ أحد المراكبية في هذا المكان؟

تختخ: لا يا شاويش ... وماذا يفعل مراكبي في هذا المكان؟ إننا بالتأكيد لسنا في النيل.

رد الشاويش بصوت كالرعد: أنا الذي أسأل!

تختخ: لا ترفع صوتك يا شاويش ... الناس قد ناموا وسوف تزعجهم ... ولاحظ أنك في ملابس البيت وقد يراك أحد!

تنبه الشاويش إلى ملابسه ... وأخذ يسعل ... وانتهز «تختخ» الفرصة وأخرج دراجته، ثم قفز عليها وانطلق عائدًا إلى منزله.

فتح باب المطبخ بمفتاحه الخاص، وتسلل في سكون ... كان كل من في الفيلا قد نام، فصعد متسللًا حتى دخل غرفته وأسرع إلى الحمام فأخذ دشًّا ساخنًا، واستبدل ملابسه واستلقى في فراشه يفكر في حصيلة المغامرة ... لم تكن المعلومات التي قالها الشاويش ذات قيمة؛ فقد استنتج أكثرها ... لم تكن هناك معلومة واحدة يمكن عن طريقها الوصول إلى كشف حقيقة ما جرى في تلك الليلة التي هرب فيها «سيد دبانة»، لم يكن هناك سوى نوع السيارة «الرينو» الصفراء ... ولكن هل هذا يكفي؟

ظل «تختخ» يفكر في كل ما سمعه، حتى أدركه النوم فاستسلم له.

في صباح اليوم التالي اجتمع المغامرون الخمسة في حديقة منزل «عاطف» كعادتهم ... وكان «تختخ» قد تأخر في الحضور، فتوقع الجميع أخبارًا هامة ... وفي التاسعة والنصف ظهر «تختخ» وخلفه «زنجر»، وكان يومًا مشرقًا جميلًا لا علاقة له بالأمس المطر البارد.

وتبادلوا التحيات. وقالت «لوزة» متلهفة: هل من أخبار؟

رد «تختخ»: كمية هائلة من الأخبار ... ولكنها تدخل في باب الطرائف!

عاطف: هل هناك أطرف من هذا؟!

قالت «لوزة» متلهفة: ماذا حدث أمس؟ هل عثرت على شيء؟

تختخ: عثرت على الشاويش «علي» شخصيًّا.

بدا الاهتمام على وجه المغامرين الأربعة، وقال «عاطف»: لا تعطنا المعلومات بالقطارة!

تختخ: لو كانت مهمة، ما أخفيتها عنكم ... والحكاية كلها أني جلست مع الشاويش أمس نحو نصف ساعة ... انتهت بمطاردة في المطر!

بدا الحماس على وجوه المغامرين، وقال «محب»: وهل أمسك بك؟

تختخ: نعم ... أمسكني، ولكنه لم يمسك الشخص الذي قضى معه نصف ساعة!

نوسة: هذا لغز!

لوزة: المسألة بسيطة ... لا بد أنك ذهبت إليه متنكرًا!

ابتسم «تختخ» وقال: ألم أقل لكم دائمًا إن «لوزة» تفهمني بسرعة.

محب: المهم ... ماذا حدث؟

أخذ «تختخ» يروي لهم ما جرى منذ غادرهم، حتى آوى إلى فراشه ... وكان الجميع يستمعون باهتمام شديد، ثم أنهى حديثه قائلًا: وهكذا لم أخرج من هذه المناقشة الطويلة إلا بأن السيارة التي قامت بالعملية، هي سيارة ماركة «رينو» صفراء ... وما أكثر السيارات «الرينو» الصفراء.

سكت الجميع ... ولكن «نوسة» بدت كأنها تفكر في شيء ما ... وأخذت تنظر إلى «تختخ» بعينين ثابتتين، وأخيرًا قالت: إنك تقول إن العملية كلها كانت تمثيلية متقنة، فلا الرصاص الذي أطلق كان حقيقيًّا، ولا الدماء التي سالت من الأستاذ «شوقي السيد» كانت دماءه ...

تختخ: أعتقد هذا ... فما هو رأيكم؟

نوسة: إنني أوافقك تمامًا على استنتاجاتك ... وهناك شيء يؤكدها!

تختخ: ما هو؟

نوسة: ألم توقفك هذه الجملة العابرة التي قالها الشاويش «علي» أن وجه الأستاذ «شوقي السيد» برغم إصابته بالرصاص كان جامدًا.

كان المغامرون الثلاثة ينقلون أبصارهم بين «نوسة» و«تختخ»، وهما يتبادلان هذا الحوار العجيب ... ورد «تختخ»، وهو يغمض إحدى عينيه: ماذا يعني هذا؟

نوسة: ببساطة أنه كان يلبس قناعًا ... فحتى لو كانت الرصاصات مجرد صوت، فلا بد أنه كان سيمثل دور المصاب فيلوي وجهه ألمًا ... أما أن وجهه ظل جامدًا، فهذا يعني شيئًا واحدًا ... إنه كان يلبس قناعًا.

تختخ: معكِ حق ... ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟

نوسة: إنه يعني الكثير ... فهناك رجل يلبس قناعًا على وجهه ... وهناك مسدس يطلق رصاصًا صوتيًّا ... وهناك دماء هي مجرد ألوان أو أدهان، معنى هذا أننا أمام ممثل محترف ... ممثل مسرحي أو ممثل سيرك ...

ففي هذين المكانين تتوفر المسدسات التي تُحدث صوتًا ولا تحدث جرحًا، والأقنعة، والدماء المزيفة.

كان استنتاجًا جريئًا يمكن أن يقرب المغامرين الخمسة من الصورة الكاملة للموقف، ويمكن أن يضع أيديهم على بداية الطريق إلى لغز السجين الهارب ... وقال محب: لقد توصلت «نوسة» إلى استنتاج!

وقبل أن يكمل جملته حدث ما لم يكن في الحسبان ... ظهر الشاويش «علي» على باب الحديقة هذه المرة ... ولأول مرة دون ملابسه الرسمية ... كان يلبس جلبابًا واسعًا على طريقة أولاد البلد القادمين من الصعيد ... وكان يلبس عليه معطفًا سميكًا أسود اللون، ويضع على رقبته كوفية ويمسك بِعَصًا.

وقف المغامرون جميعًا احترامًا لصديقهم اللدود ... ووقف الشاويش «علي» ينظر إليهم في هدوء ... كان واضحًا أنه فقد كثيرًا من وزنه ... وكان يسعل بشدة، ويضع على فمه منديلًا.

رحب المغامرون بالشاويش الذي جلس، وأسرعت «لوزة» تعد كوب الشاي الثقيل الذي يحبه ... ولكن الشاويش لم يظل هادئًا إلا لحظات، فسرعان ما أخذ وجهه يحمر تدريجيًّا، ثم قال وهو يكتم سعاله: لقد كان «توفيق» أمس يتجول أمام منزلي ليلًا، إن هذا يعني شيئًا!

قال «تختخ» على الفور: اسمع يا شاويش «علي»، لقد علمنا أنك في موقف حرج بالنسبة لعملك، ونحن نحاول أن نساعدك!

صاح الشاويش كعادته: أنتم تساعدونني أنا؟! ... أنا الشاويش «علي» الذي يرتعب اللصوص والمجرمون لسماع اسمه؟!

كاد «تختخ» يقول له الحقيقة: إن أحد المجرمين قد هرب منه وعرضه للعزل من عمله ... ولكن حفاظًا على كرامة الشاويش، قال «تختخ»: إننا نحترمك ونحبك أيها الشاويش ... لهذا نتقدم لك بكل احترام، ونرجو أن تسمح لنا بالتدخل من أجلك، إننا نعرف الكثير مما حدث.

غرفة التنكر مرة أخرى

مسح الشاويش شفتيه بلسانه، وأخذ يسعل بشدة، فقال محب: إنك مريض يا حضرة الشاويش، ويجب أن تعود إلى منزلك فورًا وتبقى في فراشك.

أخذ الشاويش يشير بيديه معترضًا ... فلم يكن يستطيع الكلام، وأسرعت «نوسة» تلحق بـ «لوزة» داخل المنزل، وتعودان ومعهما أقراص الأسبرين والشاي ... ووقف المغامرون الخمسة حول الشاويش يسقونه الأسبرين والشاي ... وبدأ يهدأ قليلًا ... ولم يكد يتمالك أنفاسه حتى قال: ومن أين علمتم بما حدث؟

تختخ: سنقول لك ... ولكن ليس الآن يا حضرة الشاويش ... إننا نرجوك أن تعود إلى منزلك الآن وترتاح، فدرجة حرارتك مرتفعة، ومن الواضح أنك أُصبت بنزلة برد شديدة.

كان الشاويش شديد الاسترابة فيما يسمع، ولكنه كان متعبًا، فقد قضى بقية الليل ساهرًا يفكر فيما يحدث حوله ... وفي نفس الوقت كان خروجه بملابسه المنزلية الخفيفة في البرد والمطر سببًا في إصابته بالسعال ... وهكذا جلس صامتًا يشرب الشاي حتى إذا أتمه قام، وحيا المغامرين بهزة من رأسه ثم انصرف ... ولأول مرة لم يمارس «زنجر» هوايته المحببة في معابثة الشاويش.

لم يكد الشاويش يغادر الحديقة، حتى عاد المغامرون إلى مناقشاتهم ... كانوا قد توقفوا عند استنتاج «نوسة» ... الذي يشير إلى أن مدبر الحادث والمدعو «شوقي السيد» ما هو إلا ممثل في مسرح أو سيرك، حيث تتوفر أدوات التنكر والمسدسات الصوتية ... وقال محب معلقًا: إذا اعتبرنا هذا الاستنتاج صحيحًا أو قريبًا من الصحة ... فإن عندنا شيئًا هامًّا ... فقد كان هناك سيرك يعمل في «المعادي»، في نفس الفترة التي تم فيها هرب «سيد دبانة» من الشاويش.

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... فهذا يعني أن نسبة الصحة لاستنتاج «نوسة» يصل إلى ٧٠٪ أو ٨٠٪، وكان السؤال الهام بعد ذلك ... أين ذهب السيرك؟ وانطلق السؤال من فم «لوزة» قائلة: المهم الآن أين ذهب السيرك؟

لم يرد أحد، ولكن «عاطف» قال: إن أي سيرك متجول لا بد أن يحصل على تصريح للعمل في المنطقة التي سيعمل فيها ... وعن طريق الشرطة يمكن أن نعرف مكانه!

محب: المشكلة أن المفتش «سامي» ليس موجودًا.

نوسة: ولكن هناك الضابط «سيد هندي» في حلوان، لقد ساعدنا في حل اللغز الماضي، وربما لو طلبنا منه المساعدة مرة أخرى لفعل.

نظر «تختخ» إلى ساعته ... كان الوقت مبكرًا بما يكفي للذهاب إلى حلوان ... فأشار إلى «محب» قائلًا: سأذهب أنا و«محب» ... فالمسافة بعيدة، وعندما نعود سنتصل بكم.

وقفز الاثنان إلى دراجتيهما ... ولم يتردد «زنجر» وقفز إلى السلة في نهاية دراجة «تختخ» وقبع فيها، وقد أدرك أن صاحبه ذاهب إلى رحلة بعيدة ... وسرعان ما كان المغامران يصلان إلى الكورنيش، ثم ينطلقان بأقصى سرعة في الطريق إلى «حلوان». ولكنهما عندما وصلا إلى القسم كان في انتظارهما مفاجأة سيئة ... فعندما سألا الشرطي الواقف على الباب عن الرائد «سيد هندي» اتضح أنه في إجازة ثلاثة أيام بدأت في نفس اليوم.

وأحس المغامران بضيق شديد ... واندفع «محب» قائلًا للشرطي: من القائم بأعمال الرائد «سيد هندي» في غيابه؟

ردَّ الشرطي: إنه النقيب «أشرف شوقي» وهو موجود الآن.

محب: هل نستطيع مقابلته؟

الشرطي: بالطبع ... إن الشرطة في خدمة الشعب. وبعد أقل من دقيقة كان المغامران يجلسان أمام شاب أسمر طويل القامة ... وكانت البداية علاقتهما بالرائد «سيد هندي» أنه صديق «توفيق»، ثم قال «تختخ»: جئنا نسأل عن سيرك كان مُقامًا في المعادي منذ نحو ثلاثة أسابيع! كان رد النقيب الأسمر مفاجأة مفرحة للمغامرين ... فقد رد على الفور بأنه يعمل الآن في حلوان ... طلب إذنًا منذ نحو أسبوعين، وقد أقام الخيام وغيرها في المساحة الفارغة من الأرض بجوار ركن حلوان.

تختخ: شكرًا لك ... إنها مساعدة كبيرة لنا!

النقيب: لا بد أنكما تريدان مشاهدة ألعاب السيرك! لم يشأ «تختخ» أن يغوص في التفاصيل معه فقال: نعم! وودعاه بحرارة، ثم خرجا مسرعين ... وانطلقا على الفور في الطريق إلى ركن حلوان، وقبل أن يصلا إليه شاهدا خيام السيرك العالية.

لم تكن الحياة قد دبت في السيرك بعد ... فالعاملون في السيرك يسهرون كثيرًا، ويتأخرون في اليقظة ... كان بعض العمال يقومون بتنظيف حيوانات السيرك ... من كلاب وحمير وأسود وغيرها ... وكانت بعض الملابس منشورة لتجف في شمس الشتاء الكليلة.

توقف «تختخ» و«محب» تحت الأشجار العالية في الجانب الآخر من الطريق ... وأخذا يراقبان السيرك فترة، ثم قال محب: كيف السبيل إلى الدخول الآن؟

قال «تختخ»: صعب جدًّا ... وقد نلفت إلينا الأنظار، ويجب أن نعمل في سرية تامة ... فلو كان استنتاج «نوسة» صحيحًا، وأن عملية تهريب «دبانة» قد تم تدبيرها وتنفيذها بوساطة رجل أو أكثر من رجال السيرك، فلا بد أنه سيكون شديد الحذر ... وأي عمل غير مدروس قد يؤدي إلى نهاية غير سعيدة.

كان «تختخ» يتحدث وينظر في نفس الوقت ... لو كان يستطيع أن يدخل السيرك بحثًا عن عمل، أي عمل ... ربما استطاع أن يصل إلى أسرار السيرك وما يحدث فيه ... وكان الحل موجودًا ... أن يلجأ إلى التنكر مرة أخرى.

ظلا واقفين فترة طويلة يراقبان حركة الحياة وهي تدب في السيرك، والكلاب المدربة وهي تستمتع بالشمس ... والأسد العجوز في قفصه يتناول وجبة من اللحم ... وقال «محب» فجأة: إن الحياة في السيرك تستهويني!

رد «تختخ»: نعم؛ إنها حياة مثيرة!

ثم أضاف بعد لحظات: من الأفضل أن نعود الآن ... لقد عرفنا مكان السيرك، وعلينا أن نكتشف الحقيقة إذا كانت موجودة فيه.

وقفزا إلى الدراجتين ... وانطلقا، ومرة أخرى قفز «زنجر» إلى السلة ... وبعد نحو ساعة كانا في المعادي ... وقال «تختخ» وهو يرفع يده مودعًا: لا أظن أننا سنلتقي في المساء ... نلتقي غدًا صباحًا؟

محب: سأحكي لـ «نوسة» ما وجدنا ... ستسعد كثيرًا أننا وجدنا السيرك حقًّا ... وسأتصل بـ «عاطف» و«لوزة».

تختخ: عظيم ... وسأراكم جميعًا غدًا ... عند «عاطف» ... طبعًا.

عاد «تختخ» إلى منزله متعبًا ... وتناول غداءه بشهية رائعة، ثم استلقى على فراشه ونام ... وعندما استيقظ في المساء أحس بنشاط كبير، وطلب من الشغالة «هنية» أن تعد له كوبًا من الشاي ... أخذ يرتشفه على مهل، ثم دخل غرفة التنكر مرة أخرى ... وجلس ساكنًا يتأمل كل شيء حوله ... كان يريد شخصية يستطيع أن يدخل بها السيرك دون أن

يثير الشك والريبة ... ووقعت عينه على كاميرا فاخرة، كان والده قد اشتراها له بمناسبة نجاحه ... كاميرا من طراز «رولي فليكس» ... وهبط عليه الوحي أن يتنكر في ملابس مصور متجول داخل السيرك.

وقفز واقفًا من الفرحة ... وأخذ يختار بعض الملابس المناسبة ... ووضع على رأسه قبعة صغيرة ... وبعد ساعة كان قد تحول إلى مصور عظيم ... يضع الكاميرا على كتفه وتسلل مرة أخرى إلى الشارع، وقفز على دراجته وانطلق إلى حلوان ... كان الجو باردًا ... ولكن لم يكن هناك مطر ... وأحس بالدفءِ يسري في جسده إثر المجهود الذي يبذله، حتى إذا وصل إلى قرب السيرك أحس أنه يتصبب عرقًا.

أخفى دراجته خلف إحدى الأشجار الضخمة التي اشتهرت بها هذه المنطقة في حلوان ... ووقف لحظات يرقب أنوار السيرك ... كانت الموسيقى تصدح ... وبعض مهرجي السيرك يقفون في الخارج يؤدون بعض الحركات المضحكة ... ومصارع ضخم يقف على كرسي مرتفع يحرك عضلاته ... وعدد من المتفرجين يقف للفرجة ... وبعضهم يقطع تذكرة للدخول.

تقدم «تختخ» وهو يضع الكاميرا في ذراعه، حتى وصل إلى الباب ... وتقدم ليدخل، ولكن أحد الرجال أمسكه قائلًا: التذكرة يا أستاذ؟

قال «تختخ» بثبات: لقد جئت للعمل في السيرك؟

الرجل: هل قابلت الأستاذ «عوني»؟

تختخ: سأقابله الآن!

أخذ الرجل يرمق «تختخ» لحظات، ثم قال: ادخل، الأستاذ «عوني» الآن في غرفته.

دخل «تختخ» السيرك ومر بجوار أقفاص الحيوانات ... ثم انثنى يسارًا وأصبح أمام إدارة السيرك ... كانت مجموعة من الأكشاك الخشبية المقامة فوق السيارات الطويلة ... ودُهش «تختخ»؛ لأن الظلام كان دامسًا ... ولكن كانت هناك بعض الأضواء التي تنفذ من نوافذ الغرف الخشبية الضيقة ... واقترب «تختخ» من أكبر الغرف وأخذ يدور حولها ... وسمع حديثًا عاليًا يدور بين اثنين ... كان أحدهما يلوم الآخر قائلًا: إنك بهذه الطريقة سوف تلفت إلينا الأنظار.

قال الآخر: إنني لا أستطيع الخروج؛ فأنت تعلم أنهم يبحثون عني في كل مكان.

الأول: هذه ليست مسئوليتي ... لقد انتهى دوري.

الآخر: لا تنسَ يا «عوني» ... أننا زملاء قدماء ... إن أكثر الناس لا يعرفون ... من أنت ... وأنا وحدي الذي أعرف.

الأول: هل تهددني؟

الآخر: أبدًا ... فقط أُذكرك بزمالتنا القديمة، فأنت الآن تتخلى عني.

كان «تختخ» يستمع بانتباه إلى هذا الحوار ... وقد أحس أنه حوار مهم ... وسمع آخر جملة في الحوار، وكان الأول يقول: إنك بتصرفاتك هذه تضعنا هنا في موقف حرج ... حاول أن تبتعد.

الآخر: لقد وعدني «بظاظة» أن ينهي أوراق سفري في نهاية هذا الأسبوع، وهكذا ربما لا تراني مرة أخرى.

وسمع «تختخ» صوت باب الكشك يفتح، وظهر شعاع من الضوء القوي على الأرض، ثم ظهر شبح رجل نزل السلم. وتردد «تختخ»: هل يحدثه ويسأله عن الأستاذ عوني ... أو يختفي في الظلام وينتظر؟ ... وفضل أن يتقدم؛ حتى لا يطرده بعد ذلك، فقال: من فضلك ... هل الأستاذ «عوني» هنا؟

لم يرد الرجل فورًا ... وعندما تحدث كان صوته غاضبًا: من أنت؟

قال «تختخ»: لقد أخبروني على باب الدخول أن أقابل الأستاذ «عوني»، إنني مصور متجول أريد عملًا في السيرك.

قال الرجل بصرامة: تعالَ هنا!

وتقدم «تختخ» وقلبه يدق سريعًا ... إلى فتحة الباب ...

ماذا فعل القرد؟

عاد الرجل داخل الكشك وتبعه «تختخ»، والمدهش أنه لم يجد الرجل الآخر الذي كان يتحدث … ولاحظ وجود ستارة تقسم الكشك إلى قسمين … وأدرك أن الآخر قد اختفى في الجزء الثاني.

شاهد «تختخ» الرجل. كان متوسط القامة … غليظ الرقبة … تبدو عليه الشراسة ويلبس ملابس السهرة … وإن بدت غير منسجمة عليه؛ فقد كانت ذراعاه قصيرتين بطريقة ملفتة للنظر … ويداه غليظتين، مما يؤكد أنه بدأ حياته يعمل عملًا يدويًّا … وكان «تختخ» قد أعد بجوار الكاميرا «الرولي فليكس» الكبيرة كاميرا أخرى صغيرة جدًّا من طراز «مينولتا» يمكن أن تصور في أي ضوء … وتظاهر «تختخ» أنه يبحث عن مكان للجلوس، ومكان يضع فيه الكاميرا بجواره … وضغط على زرار «المينولتا» الصغيرة، والتقط صورة للرجل، ثم قال: هل أنت الأستاذ «عوني»؟

ردَّ الرجل: نعم … أنا عوني … من أنت؟

تختخ: إنني مصور متجول … أريد أن آخذ إذنًا منك بالعمل في السيرك؛ لأصور الزبائن!

عوني: ومن قال لك إنني أريد مصورًا في السيرك؟

تختخ: إنها فكرة طيبة … فأكثر الناس يحبون أن تؤخذ لهم صور تذكارية في الحدائق والمسارح والسيرك وغيرها …

بدا الارتياب على وجه «عوني»، وقال: ولماذا جئت إلى هذا السيرك بالذات؟

تختخ: ليس هناك سبب معين … سوى أنني علمت أنه سيرك ناجح يدخله عدد كبير من الناس.

بدا الارتياح على وجه «عوني» ... عند سماع هذه الجملة، وقال: وماذا يستفيد السيرك من عملك هذا؟

تختخ: إنني أبيع الصورة بخمسة وعشرين قرشًا ... وسأدفع للسيرك خمسة قروش عن كل صورة ألتقطها.

أخذ «عوني» يفكر لحظات، ثم قال: سنجرب هذه الليلة ونرى!

ووقف «تختخ» منصرفًا، فقال عوني: تعالَ معي.

نزلا من الكشك إلى الظلام مرة أخرى، وكانت الريح تهب وتلعب بالخيام، حتى وصلا إلى الخيمة الرئيسية وقد ارتفعت أنغام الموسيقى ... وفتح الرجل باب الخيمة، وأعمت الأضواء القوية عيني «تختخ» لحظات، ثم شمل المكان بنظرة واسعة ... كانت النمرة الأولى قد بدأت، وعادة ما تكون نوعًا من فتح الشهية للمشاهدين ببعض الألعاب الرياضية الصعبة ... يتخللها بعض الضحكات من مهرج وزميله ... وقال الرجل: هيا ادخل.

دخل «تختخ» الخيمة وأعد الكاميرا الكبيرة للعمل، وأخذ يتنقل بين الصفوف يشير إلى الناس عارضًا تصويرهم ... وكان يراعي في نفس الوقت أن يصور كل العاملين في السيرك بالكاميرا الصغيرة ... وكان «تختخ» سعيدًا بما يفعل ... لقد أراد أن يدخل السيرك فقط، ويرى عن قربٍ الشخصياتِ التي تعمل به؛ لعله يعثر على «سيد دبانة» أو «شوقي السيد»، ولكن الظروف أتاحت له أكثر من هذا ... أن يصورهم أيضًا.

استمر العرض من التاسعة تقريبًا حتى تجاوزت الساعة الواحدة صباحًا ... وكان «تختخ» قد انتهى من تصوير نحو عشرين شخصًا ... وكان راضيًا عن عمله في أول ليلة ... وقرر أن ينسحب قبل النمرة الختامية ... وأخذ يتسلل بهدوء حتى وصل إلى باب الخيمة الرئيسية وفتحه ... وكانت في انتظاره مفاجأة ... كان «عوني» واقفًا خلف الستار يرقب العرض، وحوله عدد من المصارعين من ذوي العضلات ... وقال «عوني»: هل انتهيت من عملك؟

رد «تختخ»: نعم ... التقطت نحو عشرين صورة.

عوني: وهل معك إيصالات؟

تختخ: لا ... اكتفيت بأن أعطي ورقة صغيرة بها رقم ... وحسب ترتيب الصور في الفيلم سأسلم الصور غدًا.

عوني: وأين ستقوم بتحميضه؟

وقبل أن يتم جملته ظهر أحد مدربي القردة، وبيده قرد يقفز، وقال موجهًا حديثه إلى «عوني»: هذا القرد الذي اشتريته مؤخرًا مشاكس ... وهو لا يكف عن ضرب بقية القرود، ولا بد أن تجد له مكانًا آخر.

عوني: لقد اشتريته من «عتريس» مدرب القرود، وقال لي: إنه هادئ جدًّا. لا بد أنك تسيء معاملته.

قال المدرب محتدًّا: أبدًا ... وسترى الآن.

وفك المدرب سلسلة القرد الذي لم يكَد يشعر بحريته حتى قفز بضع قفزات، ثم دار حول الواقفين، وفجأة انقض على «تختخ»، وكم كان فزع المغامر السمين؛ لأن القرد المشاكس جذب الكاميرا الصغيرة من يده بشدة، ثم قفز مبتعدًا ... وقبل أن يتمكن أحد من الواقفين من تدارك ما حدث كان القرد قد دخل إلى ساحة العرض، وأخذ يقفز هنا وهناك معاكسًا الناس ... وارتفعت صيحات الضحك ممزوجة بصرخات الفزع ... وأخذ القرد يصعد على الحبال حتى صعد إلى حيث كان لاعبو «الترابيز» يؤدون حركاتهم ... ولعبة «الترابيز» تعتمد على الهدوء وضبط الأعصاب، حيث يتعلق اللاعبون بالحبال ... ويسبَحون في الهواء معتمدين على إيقاعات مضبوطة. ولكن القرد أثار الاضطراب في توقف اللعبة ... وكان أحد اللاعبين يطير بين منصة عالية ومنصة أخرى ... وشهق الجميع خوفًا عليه ... ففي اللحظة التي كان عليه فيها أن يمسك بالعقلة السابحة في الهواء، قفز إليها القرد الشقي واختلت حركة اللاعب وسقط، ولحسن الحظ كانت شبكة الإنقاذ مفروشة فسقط عليها ... وأصيب ولم يستطع الحركة ... وضج المكان بصيحات الفزع ... واختلط اللاعبون بالمتفرجين ... وأخذ «عوني» ورجاله يَجْرون هنا وهناك ... وفي وسط الاضطراب الذي حل وقف «تختخ» غاضبًا حائرًا لا يدري ماذا يفعل ... ففي الكاميرا الصغيرة كانت مجموعة صور العاملين في السيرك، وكان يعتمد عليها في معرفة ما إذا كان «سيد دبانة» و«شوقي السيد» بينهم.

أخذ مدربو القرود ينادون على القرد الذي أخذ يقفز في سماء الخيمة الكبيرة، وهو يمسك بالكاميرا في يده ... وكاد قلب «تختخ» يقف من فرط الخوف عليها ... فلو وقعت في يد «عوني» ... لكانت مشكلة قد تؤدي إلى عدم خروجه حيًّا من هذا المكان ... وقد كان في إمكانه أن ينتهز فرصة الهرج والمرج هذه ويهرب ... ولكن كان يدرك أنه إذا لم يحصل على الكاميرا في هذه الليلة؛ فسوف يخسر الكثير وربما لا يستطيع إعادة التجربة مرة أخرى.

صعد بعض مدربي القرود على الحبال ... وأخذوا يغرون القرد بالطعام ... وقذفوا له بجزرة كبيرة ... وإذا بالقرد الشقي يلقي الكاميرا من يده ويمسك بالجزرة ... وراقب «تختخ» الكاميرا وهي تهوي في الفضاء، ثم تسقط بين مقاعد المتفرجين ... ولم يهتم بمن يراقبه في هذه اللحظة؛ فقد اندفع حيث وقعت الكاميرا منتهزًا فرصة انشغال الجميع باللاعب المصاب، وهبط تحت المقاعد يبحث.

كان أكثر المتفرجين قد غادروا أماكنهم ... واندس «تختخ» تحت المقاعد وأخذ يبحث ولكن بلا جدوى ... كان متأكدًا أن الكاميرا قد وقعت في هذا المكان ... ولكن طال البحث دون أن يعثر على شيءٍ ... وأطفأ عامل الإضاءة الأنوار ... ووجد «تختخ» نفسه وحيدًا في الظلام ... ولم يعد هناك فائدة من البحث ... خاصة بعد إطفاء الأنوار ... ولم يكن ضوء البطارية الصغير يكفي للبحث، وقد يلفت إليه الأنظار ... ولم يكن أمامه إلا شيء واحد ... هو أن يغادر المكان الآن، وأن يعود في الصباح ... ومشى متثاقلًا ناحية الباب، كان حزينًا لأن الصور التي التقطها قد تكون أهم الأدلة التي يعثر عليها للكشف عن حقيقة هؤلاء العاملين في السيرك.

لم يكد «تختخ» يغادر باب الخيمة الكبيرة، حتى وجد بعض الرجال يبحثون عنه ... وتوجس شرًّا ... ماذا يريدون منه؟ ... وقال أحدهم: الأستاذ «عوني» يبحث عنك.

ولم يكن أمام «تختخ» إلا الذهاب ... سار خلفهم حتى وصل إلى كشك الإدارة، وصعد السلالم، وقلبه يحدثه أنه مقبل على شيء مزعج، وكان حديث قلبه صحيحًا ... فلم يكد يظهر أمام «عوني» حتى صاح: أين كنت؟

رد «تختخ»: كنت أبحث عن شيء ضاع مني!

عوني: هذا الشيء الذي اختطفه القرد؟

تختخ: نعم.

عوني: وماذا كان هذا الشيء؟

تختخ: إنه جهاز ضبط الضوء.

عوني: وأين الفيلم الذي صورته؟

تختخ: إنه أكثر من فيلم!

عوني: هات كل ما صورته!

تختخ: ولكنه محتاج إلى تحميض وطبع.

عوني: إنك جلبت علينا النحس، فما كدت تدخل السيرك، حتى هرب القرد وأُصيب اللاعب، لا تَعُد هنا مرة أخرى.

تختخ: ولكن هؤلاء الزبائن ما ذنبهم؟

عوني: قف أمام باب الدخول، وسيأتون لتسلم صورهم، فأعطهم الصور، وستدفع لي ما اتفقنا عليه.

لم يجد «تختخ» مفرًّا من القبول ... لقد كان يريد العودة إلى السيرك للبحث عن الكاميرا ... ولكن ها هو ذا «عوني» يطرده، ولا يستطيع أن يخالف له أمرًا ... وفكر أن يكمن في مكان مظلم حتى يطلع ضوء النهار ... ولكن «عوني» صاح بأحد أعوانه: خذه من يده، واقذف به خارج السيرك، ولا تدعني أرى وجهه مرة أخرى.

قال الرجل: وماذا سنفعل في القرد «يا ريس»؟

عوني: سأذهب غدًا صباحًا لإحضار «عتريس»، إنه الوحيد القادر على استعادة القرد من سقف الخيمة.

وسار «تختخ» ومعه الرجل حتى خرج من السيرك، وركب دراجته وبدأ رحلة العودة الطويلة إلى المعادي ... كان يفكر في كل ما حدث ... خاصة الحديث الذي دار بين «عوني» وبين «الشخص المجهول» هل هذا الحديث يعني شيئًا؟ ثم الكاميرا التي سقطت تحت مقاعد المتفرجين ... كيف يعثر عليها؟ بل كيف يدخل السيرك مرة أخرى بعد أن أمر «عوني» بطرده وعدم عودته.

فكَّر طويلًا واستطاع بعقليته اللامعة أن يصل إلى حلين ... أولًا: أنه يستطيع أن يعود غدًا في ملابس تنكرية أخرى. ثانيًا: أنه يستطيع أن يعود غدًا بشخصيته الحقيقية كمتفرج ... ويبحث عن الكاميرا ... ولكن كان هناك حل آخر أحسن من الحَلَّين السابقين ... هو الحل العملي الوحيد السريع والممكن ... وابتسم «تختخ» وهو يفكر في الحل الثالث.

حدث في الفجر ...

كان اجتماع المغامرين الخمسة في الصباح صاخبًا ... فقد أبدى «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» خيبتهم من قيام «تختخ» بالمغامرة وحده ... استئثارًا منه بالعمل بمفرده ... وتعريضًا لنفسه للخطر ... وأخذ «تختخ» يحاول تبرئة نفسه ... وتهدئة الموقف ... وقال في النهاية: من الصعب عليكم جميعًا الخروج ليلًا من منازلكم ... وأنا أيضًا معرض لأن أُعاقَب على خروجي الليلي وحيدًا ... ولكن في سبيل الواجب حاولت ما استطعت ... وعلى كل حال ... إن الدور القادم علينا جميعًا ...

صمت المغامرون بعد هذه الجملة، وقال «محب» متسائلًا: كيف؟

تختخ: سنذهب جميعًا إلى السيرك هذا المساء معًا.

لوزة: متنكرين؟

ضحك «عاطف» وهو يقول معلقًا: في هذه الحالة ستَتنكَّرين في ثياب بطة أو فرخة.

قبل أن تصيح «لوزة» معترضة على هذه السخرية، قال «تختخ»: ليس هناك أي داعٍ للتنكر ... سوف نذهب في ملابسنا العادية وشخصياتنا الحقيقية ... إنني أريد استعادة الكاميرا ... إنها ستعطينا الدليل على وجود «شوقي السيد» وربما «سيد دبانة» أيضًا في السيرك ... هذا إذا صحت استنتاجات «نوسة»، وما سمعتُه أمس من حوار بين «عوني» مدير السيرك والشخص المجهول.

لوزة: الأمل ألا يكون أحد عمال السيرك قد عثر عليها.

تختخ: لقد وقعت تحت مقاعد المتفرجين ... وهذه المقاعد مرتفعة عن الأرض بنحو مترين، ولا أظن أن أحدًا من السيرك يهتم بالنزول تحتها.

وانتهى الاجتماع سريعًا ... واتفقوا على اللقاء في المساء ... وفي الموعد المحدد كانت الدراجات الخمس تقف على استعداد ... وبدون سابق إنذار وجدوا «زنجر» يقفز إلى سلته

خلف «تختخ» ... ولم يستطع أحد أن يزحزحه عن موقفه ... وسرعان ما كانت قافلة الدراجات تتحرك إلى «حلوان».

كانت رحلة طويلة ... ولكن ممتعة ... فقد كان الجو باردًا، فبعثت حركة السيقان دفئًا رائعًا في أجساد المغامرين الخمسة ... وسرعان ما كانوا يقبلون على أضواء السيرك والموسيقى تعزف ... وكانت ليلة جميلة أقبل الناس فيها على الدخول أكثر من سابقتها ...

ووقف المغامرون في الطابور لقطع التذاكر ... ووقف «زنجر» بين قدمي «تختخ»، وعندما تم قطع التذاكر وتوجهوا إلى باب الدخول ابتسم «تختخ» ... لأنه تذكر الأسماء والمعاملة القاسية التي تلقاها ... ومقابلة «عوني» والأحداث التي مرت به بعد ذلك ... ولكن الابتسامة لم تستمر طويلًا ... فعندما جاء الدور عليه للدخول، وشاهده الرجل الذي على الباب، و«زنجر» قال: ممنوع يا أستاذ ... الحيوانات سوف تتهيج!

ووقف «تختخ» حائرًا ... ولكن «زنجر» حل المشكلة، واختفى دون أن يدري أحد أين ذهب ... لقد أدرك من الإشارة إليه وزعيق الرجل أنه مرفوض ... فقرر أن ينسحب ... وأحس «تختخ» بالحزن لأن «زنجر» سيعود وحده إلى المعادي وهي مسافة طويلة ... ولولا أهمية الكاميرا لبحث عنه وعاد معه.

دخل المغامرون إلى السيرك، وأشار «تختخ» إلى المكان الذي قذف فيه القرد بالكاميرا ... وأخذ المغامرون في الاتجاه إلى المكان ... وقد كان مشغولًا ببعض الناس ... ولكن المغامرين انتشروا بينهم حتى جلسوا في أماكن قريبة، حيث سقطت الكاميرا.

بعد نصف ساعة تقريبًا من دخولهم أطفئت أنوار الخيمة الكبيرة وبدأت الألعاب البهلوانية، وفي نفس الوقت بدأ المغامرون يتسللون من بين المشاهدين، وينزلون إلى أسفل المقاعد، وأخذوا يبحثون عن الكاميرا ... ولكن الكاميرا كانت قد اختفت كأنها لم توجد من قبل ... فقد فرش رجال السيرك تحت المقاعد نشارة الخشب ... ويبدو أن الكاميرا قد غاصت في هذه النشارة، ولم يعد من الممكن العثور عليها ... ومرت دقائق قاسية على المغامرين الخمسة ... وأخذوا يتبادلون النظرات والأحاديث الهامسة ... وهم يخشون أن يلفت سلوكهم هذا نظر المتفرجين ... ثم إدارة السيرك وتصبح كارثة ... وعندما أحسوا باليأس تمامًا، أشار لهم «تختخ» بالصعود، فإذا هم لم يكونوا قد عثروا على الكاميرا ... فعلى الأقل لا داعي لأن يتعرضوا للمخاطر ... ولكن يأسهم انقلب فجأة إلى فرحة طاغية ... ففجأة ظهر «زنجر»، لم يروا منه سوى عينيه اللامعتين في الظلام ... وأنين خافت كان يصدر من فمه، كأنما هو يعاتبهم على تركهم له على الباب ... ولكن على كل حال ... شاهد «زنجر» ما يفعله المغامرون ... وعرف أنهم يبحثون عن شيء ما ... ولم يكن في حاجة

إلى أن يشم صاحبه ليعرف رائحته، فقد كان جزءًا من حاسة الشم عنده، وسرعان ما أخذ يتشمم هنا وهناك، ثم مد مخالبه وأزاح نشارة الخشب جانبًا، ونظر المغامرون وهم لا يصدقون عيونهم ... كانت الكاميرا الصغيرة هناك تحت يده ... أسرع «تختخ» لا إلى الكاميرا ولكن إلى «زنجر» يُقبِّله. في حين انقض «محب» على الكاميرا، ووضعها في جيبه، وكاد كل شيء يتم على ما يرام ... لولا أن حدث شيء غريب ... كانت نمرة الكلاب المدربة قد بدأت ... وفجأة تحول السيرك إلى نباح متصل ... لقد شمت الكلاب رائحة كلب غريب، فتركت ألعابها البهلوانية وأخذت تنبح بشدة ... ثم تركت مدربها واتجهت إلى حيث يوجد «زنجر» والمغامرون الخمسة ... وانقلب الموقف رأسًا على عقب ... وأخذ رجال السيرك يَجْرون هنا وهناك، وقال أحدهم: هناك كلب غريب.

قال الرجل الذي كان يقف على الباب: إنه كلب أسود كان مع مجموعة من الأولاد.

وأدرك المغامرون أن ظهورهم في هذه اللحظة سوف يعرضهم لمتاعب جمة ... فأخذوا يَجرون تحت الكراسي حتى وصلوا إلى حافة الخيمة ... وتعاون «تختخ» و«محب» في رفع طرفها الثقيل، واندفع بقية المغامرين من تحتها ومعهم «زنجر»، ثم اندفع «تختخ» وخلفه «محب».

وكان بعض العاملين في السيرك قد أخذوا يُهدئون الكلاب التي كفت عن النباح، وعادت تؤدي المطلوب منها بعد أن ابتعد «زنجر».

بعد دقائق كان المغامرون الخمسة قد قفزوا إلى دراجاتهم، وهم في غاية السعادة، ثم انطلقوا عائدين إلى «المعادي» ... ولم يضيعوا دقيقة واحدة ... كان عند «محب» في منزلهم معمل للتحميض ... فقد كان والده من هواة التصوير ... ولم يتردد «محب» في طلب المساعدة من والده «محب» ... رجاه باسم الأصدقاء أن يقوم بتحميض وطبع الفيلم.

قال والد «محب» مندهشًا: ولماذا الآن؟ ألا يمكن الانتظار للصباح؟

محب: إنه يتعلق بمغامرة من مغامراتنا يا أبي.

الأب: ألن تكفوا عن هذه المغامرات والألغاز؟

محب: إننا نساعد العدالة يا أبي ... ونحن جميعًا من الطلبة المتفوقين في دراستهم.

قال الوالد، وهو يغادر مقعده أمام التليفزيون: أمري إلى الله!

جلس المغامرون الخمسة في انتظار النتيجة ... وقامت والدة «محب» بإعداد بعض الطعام الخفيف وأكواب الشاي ... فقد كانوا جميعًا جوعى ... ومضت نصف ساعة، ثم فُتح باب المعمل وظهر والد «محب» يمسك بيده الفيلم قائلًا: تصوير ممتاز برغم صغر حجم الكاميرا.

محب: إنه من تصوير «تختخ»!

الأب: عظيم ... والآن سأطبع لكم نسخة من كل صورة!

عاد الأب إلى العمل، ومضت فترة ثم فتح الباب وقال: تعالوا.

واندفع المغامرون إلى المعمل الصغير حتى ازدحم بهم ... وشاهدوا الصور، وهي تظهر في المياه على الورق، قام الولد بتجفيف الصور ... ثماني صور لثمانية أشخاص ... وقال «تختخ»: سأذهب إلى الشاويش فورًا؟

محب: هل أستطيع الذهاب معه يا أبي؟

الأب: لا تتأخر.

ومرة أخرى اندفع المغامرون الخمسة إلى دراجاتهم ... كانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة، عندما كانوا يقفون أمام منزل الشاويش ... ودقَّ «محب» جرس الباب ... ومضت فترة قبل أن يسمعوا سعالًا متصلًا، ثم ظهر الشاويش وهو يفتح الباب على حذر ... ولم يكَد يرى المغامرين الخمسة حتى ظهرت الدهشة على وجهه بأجلَى معانيها ... قال «تختخ» على الفور: هل تسمح لنا أن ندخل من هذا البرد القارس؟

فتح الشاويش الباب كما فتح فمه ... وانسل المغامرون الخمسة إلى الداخل ... وكانت المرة الأولى التي يدخلون فيها معًا إلى منزل الشاويش ... قال «تختخ»: ليس عندنا وقت نضيعه ... لقد أحضرنا لك مجموعة من الصور نريدك أن تطلع عليها.

وجلس المغامرون وقال الشاويش: لعلكم تحبون أن تشربوا الشاي؟

محب: شكرًا لك ... لا وقت عندنا.

الشاويش: ولكني كلما جئت عندكم شربت الشاي ... لا يصح هذا.

تختخ: يا شاويش «علي» الوقت ضيق، ولعلنا قد عثرنا على «سيد دبانة» ... وصاح الشاويش كأنما لدغته عقربة: «سيد دبانة»؟!

تختخ: أقول لعلنا ... ربما ... نظن ... وليس مؤكدًا بعد.

وأخرج «تختخ» مظروف الصور، وعرضه على الشاويش الذي لم يكد يرى الصور حتى أخذ يقفز في أنحاء الغرفة كالمجنون وهو يصيح: هذا «شوقي السيد» ... إنه مختلف قليلًا عن الرجل الذي رأيته، ولكن العنق الغليظ والذراعين القصيرتين ... إنه هو هو، أين هو؟

ثم أمسك بالصورة الثانية وصاح: هذا هو سائق السيارة: إنه هو ... هو هو، أين هو؟

كان الشاويش يدور كالمجنون في الغرفة ... والمغامرون الخمسة يكادون يرقصون طربًا ... ولكن «تختخ» قال فجأة: من فضلك يا شاويش ... إنك تُضيع وقتًا ثمينًا.

الشاويش: أين هم ... أين هو؟

تختخ: إننا نعرف مكان العصابة كلها ... ولكن نحن في حاجة إلى قوة من رجال الشرطة.

الشاويش: سنحصل عليها من القسم ... المهم أين هم؟

تختخ: إنهم يعملون جميعًا في سيرك «حلوان».

الشاويش: سنحصل على القوة اللازمة من قسم «حلوان».

ودخل الشاويش إلى غرفة ثانية، وأخذ يرتدي ثيابه الرسمية على عجل ... الملابس التي خلعها منذ شهر كامل ... وقفز إلى دراجته، وكذلك فعل كل من «تختخ» و«محب»، وطلب «تختخ» من «عاطف» أن يأخذ «نوسة» و«لوزة» ويعودون إلى المنزل ... فلم يعد هناك ما يفعلونه.

بعد ساعة من هذه الأحداث المتلاحقة، كانت قوة من رجال شرطة حلوان تحيط بالسيرك، ولم يكَد المتفرجون يغادرونه حتى هاجم رجال الشرطة مبنى الإدارة. وكانت مفاجأة كاملة لـ «شوقي السيد» الذي اعترف أنه يخفي «سيد دبانة» في غرفة من الكشك. وقد تم القبض عليه وهو يستعد لمغادرة البلاد كلها بأوراق مزورة.

وفي فجر ذلك اليوم كان الشاويش يقف مع «تختخ» و«محب»، ولأول مرة كانت عيناه مغرورقتين بالدموع ... لقد أثبت المغامرون الخمسة ليس فقط أنهم مغامرون من أرفع طراز ... ولكنهم أيضًا أصدقاء أوفياء ... لقد قاموا في الوقت المناسب بإنقاذ صديقهم الشاويش «علي» من مأزقه ... برغم أنه كثيرًا ما يرفض مساعدتهم قائلًا: هيا فرقعوا من وجهي.

ولكن الانفعال شيء ... والمحبة والوفاء والإخلاص أشياء أخرى. وعندما بدأ الصديقان العودة إلى المعادي ... كان ما يشغل ذهن «تختخ» هو الصور التي التقطها لزبائن السيرك ... وكيف يسلمها لهم مساء اليوم التالي.


هنــداوي